كمال ناصر ... والثورة مستمرة

صلاح خلف (ابو اياد)

من الصعب ان ارثي الشهيد بالكلمة وهو الذي قال « لقد فقدت الكلمة محتواها » ومن الصعب ان ارثيه بالدمع الساخن لان مآقينا جفت منذ حملنا البندقية ... واصعب من الرثاء ان اكتب عنه بموضوعية تامة لانني افقد موضوعيتي عند الحديث عن كمال الصديق والرفيق ... خاصة وان نفسي تبعثرت بفقده وتمزقت من الطريقة التي تمت بها عملية الغدر والاغتيال هذا فضلا عن استشهاد رفيقين الى جانبه من اعز الرفاق مزق استشهادهم بقايا الحزن في نفوسنا وافئدتنا ... ولكنني رغم كل الاسى والالم والتمزق والبعثرة ما زلت أعيش الحوار المستمر الذي كان يدور في هدأة الليل بيني وبين الشهيد كمال ناصر حول الثورة والقضية وما زال هذا الجانب من الحوار لا تشمله حالة البعثرة النفسية التي أعيشها لانه جانب مشرق بالحقائق الدائمة ومضيء بالحسم الذي لا يمكن للموت ان يمحوه او يؤثر في جوهره .

ولا يمكنني في هذه العجالة ان اكشف كل افكار الحوار المفتوح الذي كان يدور بيننا ولكن أهم القضايا التي كنا نتطرق اليها وتأخذ وقتا طويلا من احاديث الليل كانت تكشف الايمان العجيب الذي يعمر قلب الشهيد بالثورة وقدرتها على تخطي ازماتها الذاتية ومجابهة كافة المؤامرات التي تحاك ضدها... هذا الايمان الذي كان دوما يتناول الازمات ويحللها من الجوانب الايجابية مبددا كل سلبياتها بتفاؤل الثوار في وقت يكون فيه التفاؤل ضربا من الجنون كما يكون الايمان مأساة المؤمنين الصادقين .

وبهذه المعادلة البسيطة الايمان والتفاؤل كان يحاكم كافة القضايا المطروحة في الساحة رغم شراسة الظروف وخطورة الوضع ولا يعني هذا انه كان يبسط الامور ولا يحاكمها محاكمة موضوعية فلقد كنا نلجأ اليه في كافة القضايا الهامة نستطلع رأيه فيها ورؤيته لابعادها فنخالفه او نتفق معه ولكن رأيه في محصلته كان يشكل بالنسبة لنا القرار الحاسم وقلما كان يخطىء في التقييم او يتجاوز الامس . ولم يكن الشهيد مستشارا في الثورة تعرض عليه القضايا ليؤخذ رأيه فيها بل كانت كثير من قضايا الثورة الهامة تعرض من قبله ويؤخذ رأيه وتحليله العلمي والعملي كأساس لاية خطة للمجابهة او التصدي او تشكيل القرار . وكان الشهيد لا يكتفي بعرض وجهة نظره وانما كان يقاتل من أجلها بشجاعة نادرة غير آبه بما يقوله الاصدقاء والاعداء على السواء وكم خاض